الشام والحرية

سادتي الفضلاء

احمد اليكم الله الذي آخى بينكم فجمعكم في صعيد واحد بعد ان كانت كلمتكم متفرقة واشكره تعالى اذ جعلني انعم اطقاً في هذه الدار الكريمة المشرقة بانوارکم المتألقة واقدم اليكم بالثناء الصادر من صميم الفؤاد على تنازلكم باجماعكم على طلب مقولة مني في هذا المقام وقد سئمت الكلام فهربت من مصر الى الشام ولكني اظن ان الله كتب علي الكلام حتى يوم الحمام فليس لي من مفر والسلام

بيد اني اسألكم الصفح يا نجوم الخيحاء عما تجدونه في محاورتي لكم من التقصير فعذري ظاهر وانتم انتم الكرام

لعل هذه تكون اول محاضرة في ربوع هذه الحاضرة بعد ان هبت عليها نسمات الحرية العاطرة وقد طال عليها الاستعباد. والحرية حلق شريف يجاهر بسلطانها الانسان بما يريد ما دام داخلاً في حدوده المرسومة له ولا يتعدى دائرة نفوذه فلذلك اردت ان اتكلم عن شيء من حضارات الاسلام التي ازهرت دعائمها في دمشق الشام وفي دار السلام وفي القاهرة الفاطمية وفي قرطبة الاموية . فلاحدادكم في هذه الحضارة الزاهرة فضلان بدمشق وبقرطبة والتم البقية الصالحة لهؤلاء الاسلاف الاشراف والامل معقود بكم ان تقتدوا بهم وتزيدوا عليهم كما في سنة الترقي وكما هو شعار الاتحاد.

هذه محاضرة القاها احمد زكي بك على طلبة القاهرة في دار جمعية المحبين هذه في ليلة ١٨ من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٢٦ بحضرة جمهور كبير من اهل العلم والادب والفضل والرياسة

فلم يبق لكم عذر بعد اليوم في وضع دعائم النهضة الحديثة بديارکم الشهباء الزهراء وقد كنت فيكم تلك البدرة الصالحة على ما شاهدته بعيني وخبرته بنفسي

الا ترون من الفضول ايها الفضلاء ان يقوم فيكم رجل من الغرباء ويناجيكم بما انتم اعلم به ولا مراء . لعمري هذا منتهى الفضول من اواقف بينكم وهو ضعيف وصوته اضعف لانه يكلم امام مائة الف اذ يعتقد ان كل واحد منكم الف . فانتم ان لم يكن لكم عذر بعد اليوم في النهوض بمنكم وبلادكم فلي الف عذر في هذا المقام وانتم اتم الكرام . خصوصاً اذا اضفت لكم باقي من الطائفة الثالثة التي اشار اليها الخليل بن احمد في قوله ان الرجال اربعة . رجل يدري ويدري انه يدري فذاك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذاك غافل فنبهوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك جاهل فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذاك مائق فاجتنبوه . لا اريد الافتخار بقولي لا ادري لاني لا ارضى بذلك المذهب الذي يزعم اصحابه ان من قال لا ادري فقد درى نصف العلم الا ترضى مذهب ابراهيم بن طهمان الخراساني فانه ولد بهراة ونشأ بنيسابور ورحل في طلب العلم ونال منه قسطاً وافراً حتى كان له بغداد جراية فاخرة من بيت المال فسئل يوماً في مجلس الخليفة فقال لا ادري فقالوا تأخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال لما اخذت على ما احسن ولو اخذت على ما لا احسن تفني بيت المال ولا يفنى ما لا ادري . فاعجب امير المؤمنين جوابه وامر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته

فلذلك ارجو في احتمالكم لي الى تجاسرتكم على ما اذا فيه من تشقيق

البال بالأسفار والحنين الى الديار انكم انما قصدتم ان تجمعوا القائمين بالعمل على احياء حضارة الاسلام وشد أزر الطالبين العلم فلذلك اخترتم امركم لئلا الخرق الاجماع ولئلا اكون شاذاً عن رأي الجماعة وتمثلت بما قاله الخليل ايضاً فقد قال الآتة تيسر المصائب مر الليالي وامرأة الحسناء وحادثة الرجال . فقد جئت لاحادثكم واستفيد منكم فاردتموني على الخطابة بينكم فكان مثلي معكم كمن يحمل الصدف الى عمان ولا اقول الدرر او كمن يحمل العرض من علوم الشرق الى اهل دمشق ولا اقول الجوهر

سادتي الكرام

مصر والشام توأمان ربطتهما الطبيعة والاخلاق قبل الاسلام وبعد الاسلام بعروة وثقى ليس لها انفصام فلا عجب اذا كانت كل منهما تحن الاخرى وتشاركها بعاطفة الود والقربى فيما ينيلها من سعد ورخاء او ما ينزل عليها من نحس وشقاء لهذا تروني يا ابناء الاكرمين لا استغرب منكم هذا الحنين لرجل من ابناء النيل اتاحت له الايام ان يحل ركابه في ارض الشام وقد كان آلى على نفسه ان لا يضع قدماً في ارض سورية ولا في غيرها من ارجاء السلطنة لما لاقاه من صنوف الحيف حينما غرر بنفسه في احد فصول الصيف فوق وجهه شطر قبة الاسلام منذ بضعة اعوام

اما الآن وقد تفككت قيود الاستعباد ودالت دولة الاستبداد وزالت سلطة الفرد وقامت شورى الامة على اساس ثابت كالجبال الرواسي واعني به القانون الاساسي فاشرق نور الدستور على الجمهور فقد انفك عنه قسمه وصار في حل من العهد الذي اخذه على نفسه فلم يتمالك من الخوض في اول فرصة الى تلك البروج التي خفقت عليها رايات الحرية في صدر الاسلام فرحت

تحت ظلالها ونالت بها اقصى آمالها ونشرت ثمراتها في الشرق ثم ارسلت فروع هذه الشجرة الزاكية الطاعمة الى ما وراء البر فصادفت خير مغرس في رياض الاندلس فان الحرية الاسلامية اينعت لاول مرة في الفيحاء فتأرجت بأريجها الارجاء وابقت حضارة الاسلام في ارض جاق فازدهى بها المغرب كما اختال بها المشرق

امتازت دولة العرب الفائقة في دمشق على عهد معاوية ومن تلاه من ملوك الاسلام بسعة الحرية التامة حتى كانت هذه البقعة المباركة عروس الدنيا وقرارة الخلود وكهف الشرف والشرق ساداتها على الدنيا من ادناها الى اقصاها

غير ان الانسان جبل على الاندفاع مع التيار وعدم الوقوف عند الحدود فلم تلبث هذه الحرية ان انقلبت الى الاباحة فصار الناس هوضى وكان رؤوس الدولة اول من اسرف في الاساءة الى الحرية فتاهتهم الامة والناس على دين ملوكهم فانهار هذا الملك العظيم وغاضت عيون الحضارة في دمشق التي تزدان على الدهر عيونها الفياضة .

لذلك اناشدكم الله ان تتعهدوا الحرية التي عادت الى ربوعكم في هذا العهد السعيد فتحافظوا عليها ولا تفرطوا في العناية بها حتى لا تعود الى الدول فكفاكم ما حاق بكم من الخول بسبب الانحراف عن صراطها المستقيم وهذه فضيحة خالصة لحضكم اياها يا وجوه العرب لئلا تضيع منكم الحرية بتجاوز الحدود الذي يجعلها اباحة فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وكفاكم كفاكم موعظة ما قاله مروان آخر الامويين حينما ضاع ملكه في الشام وفر الى وادي النيل فانجا هو واهله وشيعته الى كنيسة في قرية بوصير من صعيد مصر فحفه المسودة التي جنود ابي العباس وشيارهم

السواد وكانوا في نفر قليل جداً بحيث كان من اسهل الامور على مروان ومن معه ان يبيدهم عن آخرهم لولا ان دولته كانت في ادبار ودولتهم في اقبال فلم يتهاوه حتى يطلع النهار فلجأوا الى شجر ونخل ثم ناوشوه القتال فخرج اليهم وهو يقول : كانت لله فيها حقوق فضيعناها ولم نقم بما يلزمنا فلم عنا ثم انقم بنا . ثم فكر في كثرة جيوشه بالشام فقال : اذا انقضت المدة لم تقم المدة . وذلك انه كان عند ما استفحل امر بني العباس استعرض جيوشه بأرقة قرب من المرب وجدتم ثمانون الف فارس على ثمانين الف فرس عربي . ثم احتزوا رأسه واخرجوا اكمر بنانه من الكيسة وهي ترعد فقيل لها لا بأس عليك فقالت اني بأس اعظم من الخراجي حاسرة من حيث لم ار رجلاقط . ثم اجلسوها ووضعوا الرأس في حجرها . فصرخت واضطربت . فقيل لهم ما حملكم على هذا . قالوا كفعلهم بيزيد بن علي حين قتلوه فانهم جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي (صاحبة المقام المشهور في القاهرة) ثم ارسلوا الرأس الى مدينتكم هذه فنصب على باب المسجد الاموي ثم بعثوا به الى الكوفة فخر السفاح ساجداً لله وتصدق بعشرة آلاف دينار

هذا الذي قاله مروان شبيه بمقولة هرقل حينما جاء اهل الاسلام واجلوا الاروام عن بلاد الشام . ركب البحر وهو ينظر الى الشام ويقول الوداع يا سوريا سلام عليك يا سوريا . ويشبه ايضاً قول ام ابي عبد الله آخر سلاطين بني الاحمر بغرناطة حينما اجلاه الاسبيول عن تلك البقية الباقية العرب في ديار الاندلس . فانه بعد ان سلم البلاد الى فرديناند وايزابلا وخرج في حاشيته واهل بيته . اعاد نظرات كلها حسرات وارسل رائد الطرف بعيد الاسف وهو يتلهف على الحمراء فتهاطلت دموعه على خديه فقالت له امه :

أيك مثل النساء ملكاً مضلاً ... تحافظ عليه مثل الرجال

ان الله كريم يتمم المؤمنين نعمائه اردت ان اسرد عليكم هذا التاريخ الذي كان فيه ضياع الملك من دمشق وزوالها عن درجتها السامية التي لم تعد لها الى الآن ثلا يتجاوز الناس حدود الحرية وقد شرقت عليهم وعلينا في هذا العهد الجواني الجديد فيقعوا في شر الحالم كما وقع الاولون و العاقل من اذا مرت به العبرة اردجر او فيات له الموعظة ادكر .

فلقد بلغ ملك بني امية ما بين قرني الشمس ثم زال لانهم نسوا الى الحرية التي نشروا اعلامها ورفعوا منارها حتى بلغت دولتهم من المجد اعلا ذراه فتقرب اليهم ملك الروم بارسال مائة عامل من مهرة الصناع وارسل اليه مائة الف مثقال من الذهب الاحمر وبارعين حملاً من الآلات حينما اراد الوليد تجديد الروضة الشريفة والزيادة فيها فبعث بهم الى واليه عمر بن عبد العزيز واستخدمهم وانتم تعلمون ورع عمر بن عبد العزيز الذي لا يشبهه ورع مع ما تعلمون من شدة الحالف بين العرب والروم على امتلاك آسيا الصغرى التي كانت بين الفريقين حاجزاً حصيناً يرد العرب عن امتلاك فروق ولم تكن ولا تزال مطمع الانظار .

ومما يدل على بلوغ الحرية في دمشق نهايتها دون ان تجاوز حدودها ان معاوية كان يد الاحتطة بامامة ويزيد كلهم وان الوليد بن عبد الملك بنى في مدينتكم دار الضيافة العامة وهو اول من فعل ذلك في الاسلام وذلك التعجب الى الرعية بحافظتها وتعرف احوالها وكان الخلفاء يباهون بعضهم في العلم والسياسة بهذه الوسيلة وها هو التاريخ وها هي كتب الادب تخبرنا بكثير من الاصلاحات التي حدثت بهذه الواسطة الشريفة التي كانت تربط الامة

بالخليفة وسرت من الامويين الى العباسيين فكان الرشيد يجالس الناس على المائدة فكانت حكومة المسلمين في الصدر الاول وفي ايام السلف الصالح اشبه شيء بالحكومة الديموقراطية اي حكومة الامة بالامة كما هو الحاصل الآن في دولتنا العثمانية فلم يكن فيها من القاب الشرف والاوسمة الخ بل كان الناس كلهم سواء فلا ترى ولا تعرف الا فلانا ابن فلان ولا يكون التعظيم الا بالكنية وهي من المفاخر التي استأثر بها العرب دون سائر الامم الى هذا الزمان فكانوا يقولون ابو فلان فان لم يكن له ولد قيل ابو فلان باسم ابيه هكذا كان الناس في ايام بني امية مهما بلغت درجاتهم وعلت مناصبهم كما هو الشأن الآن في بلاد الامبركان التي هي بلاد الحرية الحقيقية باكمل معانيها فليس منهم الا مستر فلان حتى رئيس الجمهورية فنازلا من الوزراء الى كل ارباب الوظائف الى عامة الناس وكذلك الحال في بلاد سويسرة التي تتفجر منها ينابيع الحرية الصحيحة في اوربا فلا يمتاز فيها ولا في اميركا رجل باي لقب اللهم الا باللقب الذي يطابق رتبته في العسكرية فقط . واما اول من تلقب من الخلفاء فهو عبد الله ابو جعفر وقد علب لقبه حتى انني لو اكتفيت بهذه الاشارة عنه لما عرف من هو الا الاقلون واما اذا ذكرت لكم اللقب الذي اشتهر به فتعرفونه لانه اصبح له علما في التاريخ وهو المنصور ثاني الخلائف من بني العباس ثم تغلغلت الدول الاسلامية في الالقاب فكثرت وتنوعت وتعددت حتى صرنا الى ما ترونه الآن فصار الجوهر تغشاه اعراض براقة خلابة ضغطت عليه ولمست معالمه حتى كاد يضيع ان لم نقل ضاع فصرنا ولنا الالقاب نتهافت عليها ونتطلبها من سبيل الحرام اكثر مما نتطلبها من سبيل الحلال بل اصبحنا وعدم الالقاب

هو اللقب فيا حبذا الرجل منا الذي يشابه الخرف عند الحياة فيكون عدم العلامة له هو العلامة.

اما وقد تبينا من رفدنا واحدنا باسباب الرجوع الى الحياة فقد اشار الى محو الرتب والغائها كاتب عيد في جريدة «لسوري امت» التي تطبع بالتركية في عاصمة الامبراطورية العثمانية. ويسرني ان اقول كلمة في هذا الموضوع.

فقد جاء الوقت الذي نجاهر فيه بحريتنا واستقلالنا ونقول الحق ونصدع به فقد كان هذا اللقب يقول كثير من اصدقائه في مصر لي والله احب ان اتخلى عن هذا اللقب الذي نلته بجدي واجتهادي واستقلالي جاهدت بالتأفف منه لا استكبارا منه لاني اراه فوق قدري ولكن استكبارا لكثيرين ممن حازوه وحازوا الخلافة وثم لما شروه بعض الدراهم وبعض المساعي الممقوتة. كثيرون من اصدقائي واحبائي يؤثرون يشهدون لي بانني طالما تمنيت على الله ان ينزل عني هذا اللقب لا بالتجريد فانه مشين ولكن بالتسليم فانه شريف بحيث ارجع الى اسمي احمد فتدي واحد بن ابراهيم او ابو ابراهيم الحسيني لكن سيدي الذي اذقد حظني الله به لهجة وافية من عدم الحصول على طلب لي ولكن الآن يجب ان نشير في محو الالقاب بطريقة معقولة مقبولة فلا نلجأ مرة واحدة من الحاصلين عليها لانهم ربما لا يرضيهم ذلك وثم ان لم يعبروا عن عدم رضائهم جهراً فربما يكون فيهم كثيرون لا يرضون به سراً ونحن في عصر الحرية ينبغي ان نحترم ارادة كل انسان وان لا نعتدي البعض على البعض ولا في الالقاب. واحسن وسيلة عندي ان لا نشاء في هذا الموضوع شططاً بل نسير فيه سيراً

وسطاً وذلك في رأيي هو تغيير اصحاب الالقاب في التنازل عنها فمن رضي فيها ونعمت ولا ريب ان الاكثرين يرضون التجرد من هذه الالقاب التي قد ترهقهم عسراً الا الذين يريدون حفظها فامرهم اليهم . ولكن الدولة تقرر انها من الآن فصاعداً تلغي الرتب فلا القاب عندها منذ اليوم بحيث لا يأتي زمن طويل حتى تنقرض الالقاب ويبقى الناس كلهم افندي او سيد او خواجه او شيخ او ابو فلان وتصبح الامة كلها سواء تحت هلال الدستور لا يتميز بعضهم على بعض الا بالعمل النافع للمجموع فتكون الامة كلها راقية لان كل فرد يتطلب النبوغ ويسعى الى التفوق بكده وجده وحسبنا ذلك فخاراً .

بهذه الوسيلة يزداد سواد اهل الفضل في هذه البلاد فيكون لاهل العلم والعمل دلال على ارباب الدولة كما كان لامثالهم في ايام عز الاسلام فان الخليل بن احمد الذي ذكرته في صدر هذه المحاضرة كتب اليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومنادمته بالليل وبعث اليه بالف دينار ليستعين بها على حاله فاخرج الرسول زنبيلاً فيه كسر بالية وقال : اني ما زلت اجد هذه الكسر غني عنه وعن غيره ورد الالف دينار على الرسول وقال اقرأ على الامين السلام وقل له اني قد الفت قوماً والقوني اجالسهم طول نهاري وبعض ليلي وقبيح بمثلي ان يقطع عادة عودها اخوانه واني غني عنه وعن غيره وكتب اليه بهذه الابيات .

ابلغ سليمان اني عنه في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال

وانت بين الغنى والفقر منزلة ... معروفة بجديد ليس بالبال

سهل بنفسي اني لا ارى احداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال

والفقر بالنفس لا بالمال تعرفه ... ومثل ذا الشر في النفس لا المال
والرزق عن قدر لا العجز يقعده ... ولا يمدك فيه السعي والحيل

والخليل هذا كان يقسم الايام على ثلاثة : معهود ومشهود وموعود وكان دائماً يتمثل بقوله :

يكفيك من دهرك هذا القوت ... ما اكثر القوت لمن يموت

ولم ينفرد الخليل بهذه المزية الفاخرة في التكبر والدلال على اهل الدولة وارباب المال فامثاله كثيرون اذكر منهم من يحضرني ذكره في هذا المقام شهم حماد بن ابي سلمة دخل عليه مقاتل بن صالح الخراساني فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه وبيده مصحف يقرأ فيه وبجانبه حرازفيه غلاه ومطهرة يتوضأ فيها . قال مقاتل فبينا انا عنده جالساً دق داق الباب فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا قالت : رسول محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فناوله كتاباً فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن سليمان الى حماد بن ابي سلمة اما بعد فصبحك الله يا صبيح به اولياءه واهل طاعته وقمت مسألة فاسألك عنها والسلام .

فقال ياصبية : هلي بالدواة . ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب : اما بعد وانت صبحك الله يا صبيح به اولياءه واهل طاعته . انا ادركنا العلماء وهم لا يأتون احداً فان كانت وقعت مسألة فأتنا وسلنا عما بدا لك وان ابيتني فلا آتي الا وحدك ولا آتي بخيلك ورجلك فلا افصحك ولا افصح نفسي والسلام .

فبينا انا عنده اذ دق داق الباب فقال : يا صبية اخرجي انظري من

هذا قالت محمد بن سليمان قال: قولي له ليدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رعباً قال سمعت عن ثابت البناني عن مالك ان رسول الله قال: ان العالم اذا اراد وجه الله هابه كل شيء فاذا اراد ان يكنز الكنوز هاب كل شيء. فقال اربعون الف درهم فاخرجها تستعين بها على ما انت عليه قال اردها على من ظلمته قال والله ما اعطيك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك اوزارك قال فتقسمها قال فلعلي ان عدلت ان يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل ازوها عني زوى الله عنك اوزارك.

هذه السنة الصالحة انتشرت بين علماء المشرق فارتفعت بهم الامة وكان لها شأن كبير لانهم كانوا يطلبون العلم للعلم وقد انتشرت هذه السنة الجميلة في عامة امصار الشرق وشاعت ايضاً في بلاد الاندلس حتى في ايام تقهقرها. فقد الف احد العلماء الاندلسيين كتاباً في اللغة فبلغ ذلك مجاهداً العامري صاحب الجزائر جزائر ميورقة ومنورقة المعروفة الآن بجزائر البليار فوجه للعالم بالف دينار وبكسوة وخلعة وتحف كثيرة وطلب منه ان يتكرم بوضع اسمه في صدر الكتاب واله الفه رسمه. فرد المال وهو في حاجة الى اقله وقال: كتاب صنفته لله ولنفع الناس لا اقوده لواحد منهم. ويقرب من هذا مالك بن دينار فانه ترفع عن الملوك واصبح اللصوص دخل اللصوص داره فلم يجدوا شيئاً يسرقونه. فلما هموا بالخروج قال لهم عادا عليكم لو صليتم ركعتين فتابوا واتابوا وقد كان لهذه الحجة في مصر شأن كبير فلا احدثكم الا بحادثة واحدة من هذا القبيل. فانتم تعلمون من هو شيخ الاسلام زكريا الانصاري فقد كان اهل الدولة يتسابقون اليه

ويقولون اليه وهو عليهم يعرض كيما أوانس . مع انه كان يخاف يشعور الطبع الفاسد في الطريق ولا يكتم عن الزبر ويس اليه شيأ من الدنيا يتني به مصالحا نفسه فكان يأخذ الكرباج بيمين ويمرس على ضوء القناديل المعلقة على ابواب البيوت .

واستمال شيخ الاسلام كثيرون في مصر وولي مصر بطول بذكرهم المقام وربما كان في ايرادها ما يدعو الى الملل والسآم غير اني استحكم الآن في ذكر الاولين والآخرين لانه بعد ذلك السلف فمن خلف من بعدهم خلف فصار ثم خلا وزعيمهم المترجم في هذا الزمان الاخير كالمكرون الاخير من هو الدر .

فالاول فضي على صفة البحر ان اخترم هذه القرصة لاناضتها وليست الخلي لكونها لان الذين رأوها لم تملوا بها على الفيض لا يزالون احياء يرافقون وهم في مصر كثيرون . وذلك ان جدي لابي الشيخ ابراهيم سوداني مصر اليه برشيد وافي مصر حاس الاول وقد انتهى اليه الخلة وصلاحه وزهده والعطافة على الساكن فاعطاه مالا كثيراً فلم يرض فاخ عليه وقال له اعمل البطاحة حد هذا المال فاذا حالاك وحر يساعدك على نفع الساكين فاستقل بشرط ان يضع الامير المال في كمه فرضي الوالي وقعد جدي المال فطاف به في الاسواق يعرفه بواسطة علامة على هذا والناس حتى فرغ المال كله ثم ذهب الى البيت فعمل هذا الكم الذي لامسة ابراهم الوالي .

واما الثانية فهي معلومة لكم جميعاً وهي واقعة يتكم هنا وبينا في مصر ذلك استقلا الشام على الاطلاق العلامة الشيخ طاهر الجزائري فهو يعلم بين عمر به العلم الجم واخلاق الاشم . الا لا ادريكم كيف يعيش هذا الرجل في

بلد مثل مصر قد اشتد فيه الغلاء حتى شكا منه الاغنياء وقد بذلت غاية وسعي كما يعلم الاستاذ كرد علي صاحب المقتبس وامام المقتبسين ورب هذا البيت الكريم في ان يناله شيء من الاوقاف الخيرية على ان يكتب عريضة لذوي الحل والعقد وقد تلطفت معه كثيراً بواسطة رب هذه الدار فلم يرض الى الآن . فماذا اقول عن هذه البقية الصالحة . لا اقول سوى كلمة واحدة تخرج من صميم الفؤاد بحب واخلاص فليعش الشيخ طاهر الجزائري

هذه الحرية وهذا الشعور هما جرثومة من ذلك الماضي المجيد وقد صادفت في عصر الدستور المنير ارضاً خصبة فعملها تتأصل في نفوسنا ونفوس الناشئين ليكون لقومنا ما كان للاسلاف من العز الذي ضرب رواقه في المشرقين وفي المغربين .

هذه الحرية هي التي جعلت الاحلاف من بني امية يحتملون الكلم الشديد والقول المر من العلويين ومن سائر الناس . لو فرضنا ان احتمالهم للعلويين كان من قبيل المداراة ومن باب المحافظة على الملك فماذا نقول عما سجله التاريخ من معاملتهم للعامة . افليس ابو صخر الشاعر الخزاعي المشهور بكثير عزة هو الذي كان يجاهر بتشيع لعلي وبنيه وقد كانوا يسبونه على المنابر بامر الخلفاء الامويين . افليس هو الذي قام في يوم من الايام فصعد المنبر في بيت الله الحرام واخذ بستار الكعبة وقال :

لعن الله من يسب عليا وبنيه من سوقة وامام
أيسب المطهرون اصولاً وكرام الاخوال والاعمام
يأمن الطير والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام

فانزلوه من المنبر واشبعوه ضرباً بالنعال وغيرها فقال :

ان امرأ كانت مسرته حب التي فيها غنى عتب
وبني بني حسن وبالدهم من طاب في الارحام والنسب
اتروس دمنا ان احبهم ان حبهم كفارة الذنب

ومع انه سب الامام جهاراً وفي الكعبة وضربه القوم حوفاً من الخلافة فقد دعاه عبد الملك ليستوزره ثم ازدراه لدمامته وقال تسمع المهدي خير من تراه فقال كثير «مولاي يا امير المؤمنين ان الرجل باصغريه فلو شئت ان تطق تطق بيان» وان قائل قال بحال ثم انشد

وجربت الامور وجربتني فقد ابدت عريكتي الامور
وما تعق الرجال علي اني بهم لاخو مقاته خبير
ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير
وما عظم الرجال هم زين ولكن زينها كرم وخير
يفاث الطير اكثرها فراخاً وام الصقر مقلاة نزور
اقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
فيركب ثم يضرب في قراه فلا عرف لديه ولا نكير

فانشده عبد الملك الاشعار في الاخوال ثم قال «ان كنا اسأنا القراء فلسنا دعي الثواء» حاجتك» قال «تزوجني عزة فاراد اهلها على ذلك فقالوا: هي بالع واحق بنفسها فقبل لها فقالت: بعد ما شب بي وشهرني في العرب ما بي الى ذلك سبيل ولها احسنت في التفضل والاعتذار وتلطفت في التذكر لسبب امتناعها هو دمامة خلقه.

وبقي كثير مع تشيعه لقطريين مرجي الشام نافذ الكلمة على خلفاء بني امية

منع الله سيوفهم في البيت الحرام فان يزيد بن عبدالملك حينما جاؤا اليه بالسارى في الهاشمية امر بضرب اعناقهم وكان من حسن حظهم ان الامر صدر محصورة كثير فقام وانشأ يقول

فعفوا امير المؤمنين وحسبة ... فما اكتسب من صالح الك يكتب

اساؤا فان تعفو فانك قادر ... وافضل حلم حين يقدر منصب

هذه الحرية التي اشتهرت بها الدولة الاموية في دمشق هي التي جعلت الناس احراراً في افكارهم وفي اعتقاداتهم فقد كان كثير منهم يقول بارجحة على مذهب المعتزلة ويخالف الملة الاسلامية كلها في ذلك كما كان يخالف سنة الدولة ويتشيع لعلي ولكن الخلفاء تركوا فصل الحرية فتركوا الناس يعتقدون كما يشاؤون ويكتفون منهم بتوحيد الكلمة من جهة السياسة - اي ان السادة الاولى لدين لم يخلق الا ليقرب الخلوق من الخالق فلا يمكن ولا يجوز ان يكون الدين سبباً في ابتعاد المخلوق من المخلوق فالدين لله والامة للوطن والحسنات تحتسب لعروة الوطن ليعود لامتنا فخارها السابق وتكون لها منزلة سامية بين الخلائق . وقد بدت علينا علائم هذه النعمة المباركة فالواجب يقضي بتعهدها وانمائها ليكون المسلم والمسيحي والاسرائيلي اخوة في الوطن فانهم اخوة في الانسانية ابوهم آدم والام حواء فليكون في هذا العصر اظهر مثل احتمالا وتسامحاً من اجدادنا الكرام في صدر الاسلام فقد وسعت صدورهم اهل الملل والنحل ووضعوا ايديهم في ايدي بعضهم بعضاً فكان منهم سور منيع لحفظ الدولة ورفع راية الوطن .

عندما صدر الدولة العربية قد وسع كثيراً من امثال كثير وقد كان يقول بالتناسخ والرجعة ومع تشيعه كان يخالف جمهور اهل الشيعة فكان

عدائاً لاهل السنة ولاهل الشيعة ومع ذلك كان له في الدولة العربية ذلك المقام الكريم . كان يقول بامامة محمد بن الحنفية وانه الحق من الحسن ومن الحسين ومن سائر الائمة والنبي مقيم بجبل رضوى لا يموت . وكان يقول عن نفسه انه يونس بن متى بمعنى ان روح هذا الذي اتخذه الفرس فتحت فيه فصار هو هو . ولقد سأل يوماً اباه قائلاً تقول الناس عنه فقيل يقولون انك الدجال فقال اني لاجد في نبي الله ذعلماً مما يليم الشارة الى ان الدجال امور كما يقال اوحينا حضرته الوفاة كان يقول لا تبكوا علي فاني عهد ارجع اليوم او غد اليكم .

كل هذه الاقاويل لم تمنع الناس عن القول حينما مات هو وعكرمة في يوم واحد بعد الظهر : لقد مات افقه الناس واشعر الناس .

لم يكن كثير وجيه في القول بارجحة والتمتع بالحرية في الرأي فقد تمسك بنزعة ابيه كثيرون منهم السيد الحميري الشاعر المجيد وهو ابو هاشم اسمعيل بن محمد بن زيد بن ربيعة كان يقول ايضاً بامامة محمد بن الحنفية والده لم يمت بل هو مقيم بجبل رضوى وقال في ذلك

الا قل للوصي فداك نفسي	أطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بعشر والوك منا	وحبوك الطاعة والاستلاما
فعادوا فيك اهل الارض طرا	مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا ذاقت له ارض عظاما
لقد امسى بورق شعب رضوى	تزاحمه الملائكة اكراما
فدانا انه اذ حزم لامر	به ولديه لم يك التمام
فهم امامة المهدي حتى	يروا آياتها نترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر جهاراً ، ويقول بالرجعة ليلاً ونهاراً . قال الرجل تعطيني دينار ثلاثة دينار الى الرجعة قال ان وثقت لي بمن يضمن لي انك ترجع الساعة اما اخشى ان ترجع كلبة وخنزيراً فيذهب مالي .

هذه الحرية في الفكر والاعتقاد كانت لذلك السيد الحميري في ايام الامويين فلما دالت الدولة وتغيرت الايام وانتقل الملك الى ابي العباس ، في الرجل على حريته في تحلله ولم يعارضه احد من اهل الدولة الجديدة لان الحرية كانت شعار الدولة العربية فلن انتقل السلطان من بيت الى بيت فالحرية ثابتة الدعائم هنا وهناك والناس بمقامهم لا بمذهبهم ورأيهم . انظروا الى السيد الحميري ودلالته على اهل الدولة الناشئة كما كان لامثاله في الدولة البائدة ذلك لما استقام الامر لابي العباس السفاح خطب يوماً فاحسن في خطبته . فلما نزل عن المنبر قام اليه السيد الحميري فانشد

دونكموها يا بني هاشم ... جددوا من آيها الطامسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها الابلا كعب من ... اعطى عليكم ملكها ناقسا
خلافة الله وسلطانه ... وعنصراً كان لكم دارسا
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار الا منكم فارسا
والملك لو شور في ساسة ... ما اختار الا منكم سائسا

فقال لهُ السفاح : سل حاجتك فقال ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الاهواز فكتب له منشوراً بالولاية ودفعهُ اليه فأخذه وقدم به على سليمان بالبصرة فلما وقعت عينهُ عليه انشده

اتيناك يا قوم اهل العراق ... بخير كتاب من القائم

اتيناك من عند خير الانام وذاك ابن عم ابي القاسم
اتينا بعهدك من عنده على من يليك من العالم
يرليك فيه حسام الامور فات صنيع بني هاشم

فقال له سليمان شريف وشاعر ووافد وشاعر وأنيب سل حاجتك فقال :

سأحكم اذ حكمتني غير مسرف ولا مقصر يا ابن الكماة الاكارم

في ابيات طلب بها جارية فارهة جميلة ومن يخدمها وبدرة ومن يحملها وفرساً رائعاً ومنبراً من صنوف الثياب وحاملة قال قد امرت لك بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله .

هذه هي الحرية التي جعلت هشاماً الخليفة الاموي يعطي الكميت وقد انشده مائة الف درهم وقد كان الكميت مجاهراً بحب العلويين وبذم الامويين .

هذه هي الحرية التي اشرقت اليوم شموسها على دولة آل عثمان وهي التي نرجو بها ارتفاع الدولة ومجد الوطن لا نفرق بين دين ودين ولا نعرف شيئاً آخر سوى اننا نستظل كلنا براية الهلال .

فحذار حذار من التهاون بها او الاستهتار في سبيلها حتى لا تعود تلك الايام السود وما فيها من ظلم وظلام .

ان الامة العثمانية قد اثقلتها المظالم واخذت عليها يد الاستبداد حتى كادت تقضي عليها ولكن العناية الربانية تداركتها بنفحة من نفحات الحرية فعادت اليها الروح ودب في جسمها الانتعاش فظهرت بهذا المظهر البديع الذي يعجب به من في الارض ومن في السموات . فاحرسوا يا رعاكم الله على الحرية فانها ملاك السعادة .

ايا كم ثم ايا كم ان تخلب هذه الحرية الباحة فتتعثر الامة في هاوية ليس لها قرار

يقولون ان هذا الانقلاب سلمي لم تسفك فيه قطرة من الدماء . نعم ولكن المقدمات التي اوصلت الامة العثمانية الى هذه الغاية الجيدة كانت محفوفة بالبأس والبؤس . بالتشريد والتهديد . بالاحراق بالاغراق بالتيتيم والتثكيل

افلا يكن في هذه الشهادات وفي تلك الدماء الزاكيات وفي تلك الصرائح التي يملأ خانات البطاقات ما يكفي لشراء هذه الحرية الغالية بالغلى الاثمان يا آل عثمان .

وفي هذا المقام القدم الى اهل الادب منكم وكلكم اهل الادب في تدوين تلك الحوادث التي هي انسه بالخرافات لانها لا تكاد تدخل في دائرة المعقولات دونوها ولكن بالصدق والاخلاص ليعرف المعاصرون انكم والناشئون بعدكم انكم الشريتم هذه الحرية بالغلى الاثمان ودونوا هذه الكلمات وتلك النوادر مع الامانة والصدق حتى لا تنعكس الحجة فكل شيء جاوز الحد انتهى الى الضد . لا تكتفوا بروايتها فان الذاكرة اصبحت في هذه العصور ضعيفة والمطالب كثيرة وانما هو التدوين عرفانا بمفاخر الاولين وان كان لم يصل الينا منه الا القليل . اصبحنا في عصر تشعبت فيه المعارف وكثرت امامنا المطالبات فلا مناص لنا من التدوين الذي يحفظ الحوادث الدهور الآتية والاجيال المستقبلة .

نعم نحن في حاجة الى تدوين كل شيء اذ قد صار من المستحيل علينا ان نضارع الحفاظ الذين اشتهرت بهم حضارة الاسلام . بل اين انا ان

لكون مثل عامر بن شراحيل او ابن ادريس الشافعي او ابن سرد الظاهري والعالم من يعدون بالالوف هذا عامر بن شراحيل كان يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث قط الا حفظته وما احببت ان يعيده علي . وما ادري شيئاً اقل من الشعر وما شئت لاتسد كم شعراً ولا اريد وقد نيفت من العلم ما لو حفظه رجل لكان عالماً . وهذا الشافعي يقول

الي مني حبها جعت يقمعني صدري وبأنه لا يحمل سنديق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي وان كنت في السوق كان العلم في السوق

وهذا ابن حزم الظاهري الاندلسي لحرق القرمز اليه يقال

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
ويدخل ان دخل ويدفن في قبري

ومع ذلك فقد دون الناس من احداثا في كل فن وفي كل شيء حتى انا بفضل القليل الذي خلفه لنا من مدونات الاقدمين عرفنا اموراً خصوصية لايمكننا ان ندعي شيئاً مما يلائمها في عصرنا هذا فمثال ذلك اننا عرفنا ان السيدة سكينة للدفونة بمصر القاهرة كان مهرها الف الف درهم او ستين الف دينار فارسية تقريباً . وعلمنا انها ولدت الرباب فملكات قلبها اللؤلؤ وتقول ما لبسها اياه الا لتفخره . وكان مجلسها بالمدينة كعبة للادباء والشعراء واخيارها مهيبة للشهر من نار على علم وخصوصاً مع الفرزدق .

هذا من الامور الخصوصية الداخلية واما الامور العمومية فقد علمنا

مثلاً ان الخليفة الاموي هشام كان اذا صلى الغداة بجامع دمشق فاول من يدخل عليه صاحب حرسه فيخبره بما حدث في الليل ثم يدخل بابه موذبان له مع كل واحد منهما مصحف فيقعد احدهما عن يمينه والآخر عن شماله حتى يقرأ عليهما جزأه ثم يقومان فيدخل الحاجب فيقول فلان بالباب وفلان فيقول ائذن فلا يزال الناس يدخلون عليه حتى اذا انتصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور ودخل الناس واصحاب الخراج وكاتبه قائد خلف ظهره فيقوم اصحاب الخراج فيسألون عن خراجهم فيقول لا وافم والكاتب خلفه يوقع ما يقول حتى اذا فرغ من الطعام وانصرف الناس صار الى قائلته فاذا صلى العصر دعا بكتابه فنظر فيما ورد من امور الناس فاذا كانت العشاء الآخرة قام الصلاة ثم اختلى بنسائه من رجال العلم والادب .

واتفق الله مدة ان صلى العشاء الآخرة واقبل بحاره كعادتهم جاءه الخبر بان خاقان ملك الترك خرج بارمينية فنهض في الحال وحلف لا يؤويه سقف حتى يفتح الله عليه .

بمثل هذا التدوين عرفنا ايضاً كيف كان الخليفة العباسي يجلس للناس ويشتغل بامور الدولة فقد كان المنصور العباسي مثلاً يشتغل صدر نهاره بالامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية فاذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف وشاور بحاره وكان ولاة البريد يكتبون اليه كل يوم بسعر القمح والشعير والادام وسائر المأكولات . ويحيطونه علماً بكل مايقضي به القاضي في نواحيهم وما يرد الى بيت المال وعلى العموم بما يجدد

من الحوادث في دائرة ادارتهم . فيسطر في كتبهم بعد صلاة المغرب فان رأى تغيراً في الاسعار كتب الى العامل يسأله عن العلة ومتى ورد الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك البلد الى حاله . وان شك في شيء مما قضى به القاضي كتب اليه في ذلك فان انكر شيئاً كتب اليه يوبخه ويلومه فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه فتوضأ وتبوأ المحراب حتى يطلع الفجر فيعود الى عمله في الامس .

ومشى العباسيون على هذه السنة حتى ان المعتصم عند ما جلس مع سماره في اواخر الثلث الاول من الليل ومعه كأس يشربها قال له احد سماره : انه سمع من رجل قادم من الثغور ثغور الروم ان في عمورية امرأة مسلمة في الاسر قالت وامعتصماه فختم على الكأس وقام من فوره واخذ الجند حتى استولى على عمورية وخلص الاسيرة ثم شرب كأسه .

ومثلهما المنصور بن ابي عامر في الاندلس فقد بلغه ان بارض الجلالقة اسيراً يستغيث به فقام من مجلس سمره لا يلوي على شيء حتى فتح تلك الحصون وخلص الاسير .

بهذه العناية من العلماء على طلب العلم ومن الرؤساء على حفظ بيضة الدولة كان للامة الاسلامية مقام كبير حتى اذا ما تولاها التراخي فاهملت شؤونها سقطت الى الحضيض . لما وقد رأيناها وهي تأهب بفضل الدستور وفي ظل الهلال المنير لاسترجاع مجدها فقد وجب علينا ان نتعاون قلباً وقالباً على العمل فيما يرفع شأنها فاعمال الافراد يرتقي المجموع وترتفع منزلة الدولة .

وكيف لا تصل الى هذه الغاية من ايسر طريق وفي اقرب وقت وقد رجعت دولتنا الى السنة القديمة المجيدة تلك السنة التي قامت بمقتضاها الدولة العربية في اعلى المظاهر وابهر المناظر — تلك السنة بالسادتي على سنة الشورى التي امر الله بها المسلمين وقامت بها دولتهم فعمت بها المشارق والمغارب

قال الدين الاسلامي يأمر بالشورى فاذا نظرنا الى التاريخ نجد ان دولة الاسلام بعد الاربعة مذاهب هذا الدين الى الرفيق الاعلى قد قامت الشورى والمبايعة من الجماعة فقد اتفقوا كلهم على ابي بكر ثم تسلسل الخلوف وصارت الخلافة ملكاً عضوضاً يتوارثها الآباء او الاعمام او ابناء الاخوان في الشرق والغرب في دمشق وفي بغداد وسبي في القاهرة وقرطبة في المغرب الاقصى وفي القسطنطينية يتوارثونها بالبيعة ولكنها بيعة مزدوجة تكون اولاً من الخاصة الذين يتفقون على الخليفة ثم من العامة الذين يقرون على ما اقره الخاصة ولا نجد لذلك استثناء الا في دمشق فان عمر بن عبد العزيز بعد ان جاءته الخلافة عفواً تنازل عنها وقصة ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما مرض كتب كتاب العهد لابنه ايوب ولم يكن بالداً فرده عن ذلك رجاء ابن حيوة فقال له ما ترى في ابني داود فقال له بقسطنطينية وانت لا تدري احي هو ام ميت فقال فمن قال رأيك يا امير المؤمنين قال ما ترى في عمر فقال اعلمه والله صالحاً فاضلاً خيراً فقال ان وليته ولم اول احداً من ولد عبد الملك تكون فتنة ولا يتركونه فكتب له وجعل من بعده يزيداً اخاه وختم الكتاب وامر بجمع اهل بيته فقال لهم هذا عهدي فاسمعوا له واطيعوا وبايعوا على من فيه فعلموا . فجاء عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة فقال يا رجاء قد كان لي في عهد سليمان حرمة وانا اخشى ان يكون قد اسند اليّ من هذا

الأمر شيئاً وإن كان والحق أضعف فقال رجاء والله لا تحرك بحرف واحد قضى . ثم جاءه هشام فقال لي حرمة وحسبك شكر والحق فقال لا والله لا تحرك بحرف فانصرف هشام وهو يضرب يده على يد ويقول . قال بن . ثم جاءت الريح ومات سليمان . فقرأ رجاء بن حيوة الكتاب فلما ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام والله لا أراها فقال له رجاء والله لتضربن عنقك . فقام يجر رجليه ويستريح الأخرى عند هذا الأمر ويحمر يستدرج الوقع فيه . ثم جيء بركاب سليمان من عند المقام راكب المطاة فقال عمر قربوا إلي عباي ثم ركب فقال أيها الناس قد بليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني ولا مشورة ولي قد علمت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين فلي أمرنا بالرشد والبركة . فقال لوصيكم بتقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف وعمد إلى الم خطته بيد فمحاه بالماء فلم يأت بشيء فبكت وطابت التي كانت قسطا للخلفاء فمحاها وأمر ببيعها وادخال ثمنها في بيت المال . وذاع الخوارج سيرته وما رد من المظالم فأول ما بدأني قال لعمال هذا الرسل

وقد حدثنا التاريخ بأن عمر بن عبد العزيز اشترى بأمانة من أموره بثلاثة آلاف دينار فرضاهم وجعل لعياله بدلاً مديماً دونهم فكانت لبنيه كلها سلاماً في سلام فانظروا إلى ما جرى في هذه الأيام فقد قامت الحماة بالتهام اليوسة والفرنسة ضربة بارزة وبعد ثني قول عندها مائة ألف بين ألف ألف بين ألف واحد فقط .

والعجب ما كان الشيطان يقول في هذه الورطة التي أوقعت نفسها

فيها بلا طائل ولا فائدة معجلة او مؤجلة ظاهرة او باطنة لانها تحتل هاتين الولايتين بمقتضى معاهدة برلين فاي فائدة لها في هذا التملك الذي لا يرضى به حر عاقل او دو ضمير حي ولذلك قابلتها الامة العثمانية بحرب سلمية ولكنها كانت على الخسائر من امتشاق الحسام تلك هي المقاطعة التجارية التي ترى آثارها في طول البلاد وعرضها هذه المقاطعة ليست من مستحدثات هذا الزمان فان اول من سنها هو نبي الاسلام عليه السلام . فقد غضب على رجل من اهل المدينة فامر الناس بمجافاته فما كان احد يتعامل معه على الاطلاق ولا كان احد يقرؤه السلام حتى تاب واهتدى فعسى ان تكون النتيجة في هذه الايام الاخيرة مثل ما كانت في تلك الايام الاولى .

وليست المقاطعة هي السنة الشريفة الوحيدة التي احياها بنو عثمان في هذا الزمان .

فاننا اذا تصفحنا التاريخ وجدنا ان الدول تقوم على ربوات من الجثث والجماجم وانا اقتصرنا على ذكر دول الاسلام نرى ان دولة الامويين قامت بالسيف والنار فحروب صفين وغيرها معلومة للخاص والعام وكل الناس يعلمون ان الحجاج قتل ١٢٠ الف نفس في توطيد دعائم الدولة المروانية . كذلك دولة العباسيين قامت على قتل الامويين وقد سفك ابو مسلم الخراساني دم ٦٠ الف انسان . وكذلك دولة الامويين في الاندلس قامت على اطلال الحرب واشلاء القتلى . ومثل هذا وقع بمصر حينما دالت دولة الفاطميين فان صلاح الدين رحمه الله واكرم مثواه اضطر بحكم السياسة لارتكاب هذا الامر ولكنه تلطف فلم يدع للدم سبيلاً وذلك انه حبس الفاطميين والفاطميات في قصر كبير ومنع الرجال عن

السماء وصبر عليهم حتى قضوا نحبهم حتف انفهم . وكذلك حدث في القاهرة حينما نوى محمد علي سريرها فانه اخذ في مداراة المماليك واكتساب ثقتهم فما لبثت الخيل الصفر لابادتهم في وقعة القلعة المشهورة . هذه الامثال وقد ذكرت منها القليل تدلنا على صحة قولهم ان الملك عقيم وان تأسيس الدول لا يقوم الا على الدماء . حتى جاءت هذه الايام فرأينا دولة الشورى قد قامت بسلام على سلام في سلام فعليها الف تحية وسلام .

لعمري انها معجزة غريبة في بابها . فهم رأينا معجزة للمعجزات فكيف لا نصدق بما رواه لنا التاريخ من المعجزات .

بلاد الشام هي موطن المعجزات ففيها قام الانبياء . بلاد العرب كانت لها اكبر معجزة بظهور احمد . بلاد اوربا واميركا جاءتنا بمعجزات العلوم والصناعات والفنون . بلاد اليابان في اقصى الشرق كانت لها في هذه الايام نهضة تفوق المعجزات . فلم يبق الا آل عثمان وكأنهم عجزوا عن المعجزات حتى اتوا بالامس بمعجزة هي نهاية ما يتصل اليه اهل الارض فقيامهم باقامة دولة الشورى هو معجزة المعجزات .

لذلك حضرت اليكم لاهنئكم ايها السادات بمعجزة المعجزات . بالعجوبة الاعاجيب والتي ارجو لدولتنا بقاء ليس له انتهاء والسلام عليكم ورحمة الله .